محيي الدين بن عربي ووحدة الأديان:
قراءة من خلال نصوصه

محمد رفاعي محمد أمين

Abstrak

Muḥyiddīn Ibn Arabī adalah salah seorang tokoh yang mana pemikiran dan ajarannya telah diiktiraf ramai bukan sahaja dalam kalangan dunia Islam dan Arab malah turut diakui di Barat. Beliau mempunyai ramai pendokong dan juga pengkritik, sama ada di Timur mahupun di Barat, dulu mahupun kini. Keistimewaan beliau yang memiliki minda ensaiklopedik telah menghasilkan beratus-ratus karya dalam bentuk buku, risalah mahupun makalah ringkas. Sebagaimana resmi kebanyakan para Sufi, beliau banyak menggunakan pendekatan bahasa simbolik dan ungkapan kiasan yang telah mendedahkan beliau kepada pelbagai tohmahan dari kalangan mereka yang terkeliru dan salahfaham terhadap apa yang ditulisnya. Antara tuduhan liar yang dikaitkan dengan beliau adalah berkaitan dengan faham Kesatuan Transenden Agama-agama (Transcendent Unity of Religions) dan sebagainya. Tulisan ini akan cuba menghuraikan hakikat sebenar isu ini berdasarkan kenyataan Ibn Arabī sendiri. Ia cuba menjelaskan bahawa Ibn Arabī sama sekali tidak mendokong faham tersebut atau sebarang faham-faham sesat sebagaimana yang didakwa

oleh pengkritiknya. Sebaliknya, beliau mempunyai kefahaman dan keimanan Tawḥīd yang jelas dan tegas sama ada dalam kehidupan mahupun dalam ibadat.

Katakunci: Ibn Arabī, tasawuf Islam, Sūfī, Aspek intelektual dalam Tasawuf, Kesatuan Transendent agama-agama, *al-Futūḥāt al-Makkiyyah, Fuṣūṣ al-Ḥikam*, bahasa simbolik dan kiasan.

Abstract

Muḥyiddīn Ibn Arabī is one of the selected profound personalities whose teachings and researches are greatly recognized not only in the Islamic and Arabic worlds, but it has been vastly acknowledged in the west. As he has supporters in the east and west, whether in past and present time, he also has adversaries. He possessed an encyclopedic mind, and left to us hundreds of works which among them are books, treatises as well as articles. He applied in his writings symbolic and metaphorical expressions as applied by many other Sufis which it became direct reason for several accusations renouncing him expel from the domain of Islam. Among these accusations are the notions of the unity of existence, union and incarnation and the propagation of the transcendent unity of religions. Hence, this writing will elucidate the true concept regarding the notion of the transcendent unity of religions. It will clarify that Ibn Arabī is extremely far from holding the notion of transcendent unity of religions and accepting any form of beliefs as claimed by his adversaries. As a matter of fact, he possessed firm teachings on the oneness of God and assured this notion to be applied in human life and worship.

Keywords: Ibn Arabī, Islamic mysticism, Ṣūfī, Intellectual aspects of Sufism, Transcendent Unity of Religions, *al-Futūḥāt al-Makkiyyah, Fuṣūṣ al-Ḥikam*, symbolic and metaphorical expressions.

يمكننا أن نعتبر محيى الدين بن عربي (ت٦٣٨هـ)[١] من الشخصيات القلقة في الفكر الإسلامي عموما وفي الفكر الفلسفي والصوفي خصوصا، ولم يزل المفكرون المسلمون منذ ظهوره في حيرة من أمره ما بين من يرفعه إلى درجة الولاية والقطبية وبين من يجعله في قمة الجحود والكفر. وقليل هم الذين نهضوا لكشف أغوار هذا الشخص ودراسة نصوصه بغرض الوصول إلى الحقيقة من أمره.

اتهمه أعداؤه بعدة تهم تكفي لإخراجه من حظيرة الإسلام والمسلمين. ومن أخطر الاتهامات التي وجهت إليه – بجانب القول بالوجود الواحد والحلول والاتحاد – هو تصحيح مختلف المقالات في الإله والدعوة إلى وحدة الأديان، فقد اتهمه ابن الخياط بوحدة الأديان والتسوية بينها في الخطاب الذي بعثه إلى علماء البقاع الإسلامية المختلفة[٢]، والبقاعي يشرك

---

[١] هو محمد بي على بن عبد الله الطائي الحاتمي الملقب بـ"محيى الدين" و"الشيخ الأكبر"، والمعروف بـ"بن عربي"، ولد ليلة الإثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠هـ في مرسيه بأندلس، نشأ في بيت علم، واهتم بالعلم والمعرفة منذ نعومة أظفاره، وعكف على دراسة جميع العلوم المعروفة في عصره، وتنقل بين البلدان في الشرق والغرب في رحلات علمية واستكشافية. ترك ثروة فكرية عظيمة لا تقدر بثمن، ومن أشهر كتبه **الفتوحات المكية**، توفي رضي الله عنه سنة ٦٣٨هـ، ودفن بسفح جبل قاسيون بسوريا. أنظر ترجمته في التلمساني، أحمد بن محمد المقري، (١٣٦٧هـ/١٩٤٩م)، **نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب**، حققه وضبط غرائبه وعلق حواشيه: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة: مطبعة السعادة. ج١: ص٩٥؛ وكحالة، عمر رضا، (ب.ت)، **معجم المؤلفين**، بيروت: مكتبة المثنى، ج١١:ص٤٠؛ وبلاثيوس، آسين، (١٩٦٥م)، **ابن عربي حياته ومذهبه**، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية.

[٢] نقلا عن اليمني، حسين بن الأهدل، (١٩٦٤م)، **كشف الغطاء عن حقائق التوحيد**. نشرة الدكتور أحمد بكير، تونس: مطبعة الاتحاد التونسى للشغل، ص٢٠٢.

معه ابن الفارض في تهمة تصويب كل كفر وأن الباطل من بعض الصور التي ظهر بها الحق، وأنه يعبد في كل شيء، لأنه عين كل شيء، وأن كل العقائد مرضي عنها، وكل الطرق مستقيمة[٣]، وكذلك يتهمه ابن الأهدل بوحدة الأديان عامة، وأنه لا يسم أحدا بالكفر الحقيقي، لأن الكفر عنده معدوم، ويضع لها أصلين، القول بالوجود الواحد، والتسوية بين الأمر والإرادة، كما يتهمه ابن الأهدل بالسفسطة لتصويب جميع المقالات[٤]. أما ابن تيمية – عدوّه اللدود – فيتهمه مع ابن سبعين والتلمساني وغيرهما بجميع التهم السابقة، ويمضى في الشوط إلى نهايته فيقول: "بأنهم أجازوا عبادة الأصنام وجحود الرب وإبطال الدين"[٥].

وتابعهم كثير من المتقدمين في فتاواهم التي جمعها ابن الأهدل والبقاعي وصاحب العلم الشامخ والسخاوي وغيرهم[٦]. ومن المستشرقين نجد نيكولسون وجولد تسهير يتهمانه بإلغاء الحدود المشتركة بين

---

٣ نقلا عن السيوطي، جلال الدين، (ب.ت)، **تنبيه الغبي إلى تبرئة ابن عربي**. علق عليها وراجعها: عبد الرحمن حسن محمود، القاهرة: مكتبة الآداب ومطبعتها، ص١٩، ٧٤، ٧٥، ٨٦، ٨٨، ٩٢، ٩٣، ١٠٩، ١٢٦، ١٢٧.

٤ نقلا عن اليمني، **كشف الغطاء**، ص١٨٥، ١٨٩، ١٩٩–٢٠٠، ٢٢٣–٢٢٨.

٥ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٣٢١هـ)، **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، القاهرة: مطبعة محمد على صبيح، ص١٣٩، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، **ومنهاج السنة** له أيضا، القاهرة: المطبعة الأميرية بولاق، ٣/٩٧–١٠٢.

٦ اليمني، **كشف الغطاء**، ص٢٠٢، ٢١١، وانظر أيضا المقبلي، صالح بن المهدي اليمني، **العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ**، ص ٤٩١–٤٩٨، والسيوطي، جلال الدين، **تنبيه الغبي**، ص١٥١، ١٨١.

الأديان[٧]، وأخيرا نجد من يتابعهم من المحدثين المسلمين من أمثال د. على سامي النشار الذي يتهمه بالقول بوحدة المعبود ووحدة الأديان، وهو ما يخالف الإسلام وكل دين كما يقول[٨]. ود. أبو العلا عفيفي الذي يتابع جولد تسهير في القول بأنه يقتفي أثر إخوان الصفا في دعوى الدين المطلق[٩]، ونرى غيرهم من الباحثين المحدثين ينحون نفس المنحى في إلصاق تهم عدم التفرقة بين الأديان والقول بوحدتها[١٠].

ومع ذلك فمن اليسير علينا أن ندرك خطأ هذه الاتهامات عندما نحلل رأيه في الإله المعبود الحق وعلاقته بما يعقده الخلق في قلبهم لما يعبدونه من ناحية، ومن ناحية أخرى اعتقاد المشرك في الآلهة المتخذة على وجه هذه الأرض بدلا من الإله الحقيقي على أنها شفعاء لهم أوأنها تقربهم إلى الله زلفى. أعتقد أن الفهم الخاطئ لهاتين الفكرتين بالإضافة إلى نظرته إلى الإيمان والكفر بمعناه العام وإنكاره التعطيل المطلق أدى إلى إتهامه بالاتهامات السابقة، ومن هنا ينبغى علينا أن نتطرق إلى أفكاره هذه من خلال نصوصه حتى نتمكن من تصحيح التهمة الملقاة عليه أونفيها. فدراستي هذه تركز على هذه النقاط الثلاث.

---

٧ مصطفي، محمد أحمد، **الرمزية عند محيى الدين ابن عربي**، مصر: جامعة الأزهر، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين، ص٥٠٦.

٨ النشار، د. على سامى، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، القاهرة: دار المعارف، ط:٨ ج٣ (مقدمة).

٩ ابن عربي، (١٣٦٥هـ)، **فصوص الحكم مع تعليقات د.أبو العلا عفيفي**، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ص ١/١٩٥، ٢/ ٩٣، ٢٨٥-٢٨٩.

١٠ انظر مثلا مقالة عباس العزاوي في **الكتاب التذكاري لمحيى الدين بن عربي فى الذكرى المئوية الثامنة لميلاده** (١٩٦٩م)، "ابن عربي وغلاة التصوف"، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ص١٤٣.

أولا: تصحيح مقالات المسلمين في الإله.

تقوم الفكرة على تصويب معتقد الفرق الإسلامية من مشبّهة ومتزّهة وغيرها تجاه الحق سبحانه وتعالى. فكل إنسان لديه تصور خاص عن إلهه الذي يعتقده ويؤمن به، ويقدّم له العبادة، وهذا التصوير لا يشترك فيه الاثنان. طلب الله من العباد على لسان رسوله أن "اعبد الله كأنك تراه"[١١] ، فأمره أن يتخيله ويحضره في خياله عند عبادته، وأخبره أيضا "أن الله قبل وجهه إذا صلى"[١٢] . فكل إنسان لديه تصور ما عن إلهه الذي يعبده.

أنزل الله تعالى في القرآن ما يلائم كل الميول والأمزجة، فلما اختلفت الأمزجة كان في العالَم العالِم والأعلم والفاضل والأفضل، فمنهم من عرف الله مطلقا من غير تقييد، ومنهم من لا يقدر على تحصيل العلم بالله حتى يقيده بالصفات التي لا توهم الحدوث وتقتضى كمال الموصوف، ومنهم من لا يقدر على العلم بالله حتى يقيده بصفات الحدوث فيدخله تحت حكم ظرفية الزمان، وظرفية المكان، والحد والمقدار.

ولما كان الأمر في العلم بالله في العالم في أصل خلقه على هذا المزاج الطبيعي المذكور أنزل الله الشرائع على هذه المراتب حتى يعم الفضل الإلهي جميع الخلق كله، يقول ابن عربي: "فأنزل: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[١٣] ، وهو لأهل العلم بالله مطلقا من غير تقييد، وأنزل قوله ﴿**أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ**

---

[١١] الإمام بن حنبل، أحمد، **المسند**، رقم الحديث.٥٨٨١.

[١٢] الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، باب: حك البزاق باليد من المسجد، رقم الحديث: ٣٩١.

[١٣] سورة الشورى: ١١.

عِلْمًا﴾[١٤] ، ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[١٥] ، ﴿**فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾[١٦] ، ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾[١٧] ، ﴿**اللّهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾[١٨] ، ﴿**فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ**﴾[١٩] ، ﴿**وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[٢٠] ، وهذا كله في حق من قيده بصفات الكمال، وأنزل تعالى من الشرائع قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[٢١] ، ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾[٢٢] ، ﴿**وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ**﴾[٢٣] ، ﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**﴾[٢٤] ، ﴿**لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا**﴾[٢٥] ، وهذه لمن لم يستطع أن يرتفع بعقله فوق المحسوسات، وقيده سبحانه وتعالى وحدّده في الصفات الكونية، فعمت الشرائع بهذا ما تطلبه أمزجة العالم، ولا يخلو المعتقد من أحد هذه الأقسام"[٢٦]. فالمعتقِد المسلم منهم من ينـــزه الباري تعالى عن مشابهة المخلوقات في أمر من الأمور، وهم المنـــزهة من أهل السنة والجماعة،

---

[١٤] سورة الطلاق: ١٢.

[١٥] سورة الملك: ١.

[١٦] سورة البروج: ١٦.

[١٧] سورة الشورى: ١١.

[١٨] سورة البقرة: ٢٥٥.

[١٩] سورة التوبة: ٦.

[٢٠] سورة الحديد: ٣.

[٢١] سورة طه: ٥.

[٢٢] سورة الحديد: ٤.

[٢٣] سورة الأنعام: ٣.

[٢٤] سورة القمر: ١٤.

[٢٥] سورة الأنبياء: ١٧.

[٢٦] راجع ابن عربي، (١٤١٨هـــ-١٩٩٨م)، **الفتوحات المكية في معرفة أسرار المالكية والملكية**، بيروت: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢١٦/٣.

ومنهم من يحدّه ويحصره في الأين والكيف ويجيز عليه الحركة والانتقال ويشبهه بالمخلوقات، وهم المشبهة والحشوية، ومنهم من ترفع عن التنزيه والتشبيه ولم يقيده بشيء من ذلك، وهو عقيدة بعض الصوفية، فكل هؤلاء مستندهم القرآن والسنة. ولقد شمل القرآن أقوال هؤلاء جميعا ووسع معتقدهم كما رأينا في الآيات السابقة.

والحق تعالى هو هو من غير أي تغيير في حقيقته وكنهه، وهو قابل صورة كل معتقد بمعنى أن ما تصوره المشبهة عن الإله هو نفس إله المنـــزهة، وإن كان تصور الفريقين عن إلههم مختلفا، وإذا رجع المشبه مثلا إلى فكر التنـــزيه وتصور الإله كالمنـــزهة لا يزول وجوده تعالى ولا يختلف كنهه وحقيقته بزوال تصوره الأولي ولا يتغير، وإنما التغير في تصور المعتقد لا غير. ومن فضله تعالى أن أقر كل هذه التصورات.

ويشير ابن عربي إلى هذا المعنى بقوله: "واعلم أنّ من شأن الحق تعالى أنه حيثما تصور كان له وجود في ذلك التصور ولا يزول وجوده برجوع ذلك المتصور عما تصوره ... لأن الحق تعالى قابل صورة كل معتقد، ولو لم يكن كذلك ما كان إلها، فإذا سمع السامع الخبر النبوي بوجود الله تعالى آمن به على ما يتصوره، فما آمن إلا عما تصوره، والله تعالى موجود عند كل متصور كما هو موجود في خلاف ذلك التصور بعينه"[٢٧]. فهو تعالى موجود في كل صورة عند كل معتقد. وصور المعتقِد يختلف من شخص إلى شخص. فله وجود في كل هذا التصور. نراه ينصح لذى النون: "لا تجعل معبودك عين ما تصورته ولا تختل ما تصورته منه، وانْفِ واثبت،

[٢٧] ابن عربي (٢٠٠٣م)، **كتاب المعرفة**، تقديم وتحقيق: محمد أمين أبو جوهر، دمشق: التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، ص٣٩ و٤٠.

وقل ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾، ليس هو عين ما تصورته، ولا يخلو ما تصورتَه منه"[٢٨]. هذه عبارة صحيحة مليحة لمن فهم الإشارة. أي أن تصورك للإله صحيح وإن كان هذا التصور ليس هو عين الإله، ولا تدّع أن تصورك فقط للإله صحيح وأن تصور غيرك للإله باطل، لأن له وجودا في تصور كل إنسان.

ومن الناس من تأوّل ما جاء في حق الحق من صفات المخلوقات – والتي تُسمى بالصفات الخبرية – استنادا على قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[٢٩] وبقوله ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾[٣٠]، وهؤلاء هم المؤولة من أهل السنة والجماعة وغيرهم، ومنهم من سلم علم ذلك إلى من جاء به أو إلى الله، هذا الموقف هو ما يسمى بالتفويض، يمثله السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم. ومنهم من شبه الخالق بالمخلوق، هكذا اختلفت مقالات النظار في الله عز وجل ما بين منزه ومشبه. يقول ابن عربي عن عقيدة هؤلاء جميعا: "وعذر الله كل طائفة، وما طلب (الله) من عباده في حقه إلا أن يعلموا أنه إله واحد لا شريك له في ألوهيته لاغير ... وقرن النجاة والسعادة بمن وقف عندما جاء من عنده عز وجل في كتبه وعلى ألسنة رسله عليهم السلام ... أن كل عاقل له في ذات الله مقالة، إنما عبد ما ولده عقله[٣١]. أي أن كل عاقل يكوِّن في مخيلته صورة لمعبوده

---

٢٨ ابن عربي، **كتاب المعرفة**، ص٦٥.

٢٩ سورة الشورى: ١١.

٣٠ سورة الزمر: ٦٧.

٣١ ابن عربي ، **الفتوحات** ٣٠٣/٣.

ويقدم له العبادة، فالإنسان يعبد الإله الذي ولده أي تصوره وخلقه في مخيلته، ولايستطيع الإنسان الانفكاك عن هذا التصور ما دام معتقدا في إله.

ويرى ابن عربي أن الضمير العائد على الله في الحديث المشهور :**خلق الله آدم على صورته**، هو صورة الاعتقاد في الله الذي يخلقه الإنسان من نظره أو توهمه وتخيله فيقول هذا ربي فيعبده، إذ جعل الله له قوة التصوير ولذلك خلقه جامعا حقائق العالم كله، فلا بد أن يصور فيه – في الحق – إنسانيته على الكمال أو من إنسانيته، ولو نزّه ما عسى أن ينزه فإن غاية المنزّه التحديد، ومن حدّ خالقه فقد أقامه كنفسه في الحد، ولذلك أطلق الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم "اعبد الله كأنك تراه"[٣٢] – فأمره أن يخيله ويحضره في خياله – وأدخل على الرؤية كاف التشبيه والتمثيل، وقال له "إن الله في قبلة المصلي" وقال ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ**﴾[٣٣]، فالإنسان ينشئ في نفسه صورة يعبدها فهو المصوّر، وهو مخلوق منشأ، أنشأه الله عبدا يعبد ما ينشأه، وأنشد:

فليس ينشئ عبدا غير خالقه وليس ينشئه إلا الذي خلقه[٣٤]

ومع أن قوة التصوير هائل لدى الإنسان إلا أن تصوره ينحصر فيما أمده عليه حواسه وعقله مما استفاده من هذا العالم الواسع، والإنسان لا يستطيع أن يصور شيئا ليس له علاقة بهذا العالم، فتنزيه العبد لربه يكون من الأشياء والأمور التي يرى أنها غير لائقة لجلال الله تعالى وقدسيته من

---

[٣٢] تقدم تخريج هذا الحديث فى ص٣.

[٣٣] سورة البقرة: ١١٥.

[٣٤] ابن عربي، **الفتوحات**، ٢١٤/٤ و٢٦٥/٤.

هذا العالم، وهذا أقصى ما يستطيع العبد من تنزيه ربه، فعندما ينزهه تعالى بقوله مثلا إن الله ليس جسما ولا عرضا وليس له ولد وليس له والد يكون في الحقيقة محددا له تعالى. وليس في وسع الإنسان أكثر من هذا التنزيه إن كان من فريق المنزهة، والمشبهة أيضا يشبهون الحق بأمور ثابتة في هذا الكون، فتصور الإنسان للحق تعالى مهما حاول لا يمكن أن يخرج عن هذا الكون، فيحاول العبد قدر استطاعته تصور معبوده عند عبادته لطلب ربه بذلك.

وعلى ضوء ما سبق نستطيع أن نفهم قول ابن عربي: "**خلق الحق نفسه**"، وذلك "أن كل صاحب مقالة في الله يتصور في نفسه أمرا ما ويقول فيه هو "الله" فيعبده، وهو الله لا غيره، وما خلقه في ذلك المحل إلا الله، فاختلفت المقالات باختلاف نظر النظار فيه، فكل صاحب نظر ما عبد ولا اعتقد إلا ما أوجده في محله، وما وجد في محله وقلبه إلا مخلوق"[٣٥].

ويريد بهذا أن الذي يخلق هذه التصورات عن الإله المعبود في مخيلة العبد هو الحق تعالى، فالحق الموجود في تصور الإنسان هو من خلقه تعالى. فالحق – من هذه الجهة – مخلوق، أي في تصور الإنسان، فلا ينبغي أن يفهم من كلامه "خلق الحق نفسه" أن الله تعالى مخلوق أو أن أن له خالقا هو نفسه.

وينبغي أيضا أن نفهم كلامه: "**الإله في الاعتقاد بالجعل**" على هذا النمط، وذلك أنه كما يقول "لا بد لكل شخص من عقيدة في ربه يرجع

[٣٥] ابن عربي، **الفتوحات**، ٢١٣/٤.

بها إليه ويطلبه فيها، ... فلا يعتقد معتقد إلها إلا بما جعل في نفسه[٣٦] . أي أن كل معتقد يجعل تصورا ما لربه في قلبه، فالإله من هذه الجهة بالجعل.

ومن هذا المعنى قال الجنيد البغدادي – رحمه الله – بأن **لون الماء لون إنائه**[٣٧]، وذلك أن الماء يظهر للبصر بحسب لون الإناء من حيث ألوانها، فلم يتقيد الماء في ذاته، ولكن هكذا تراه العين، وكذا تؤثر فيه أشكال الظروف التي يظهر فيها، وهو ماء فيها كلها، فهو في الأوعية كما هو في غير وعاء بحده وحقيقته. فاختلاف صور الاعتقادات في قلوب العباد ليس له أي تأثير في جانب الحق، فهولا يتغير ولا يتبدل ولا يتكثر. ومن هنا يقول ابن عربي: "الحق وإن كان واحدا فالاعتقادات تنوّعه وتفرّقه وتجمعه وتصوره وتصنعه، وهو في نفسه لا يتبدل، وفي عينه لا يتحول، ولكن هكذا يبصره العضو الباصر في هذه المناظر، فيحصره الأين ويحده الانقلاب من عين إلى عين، فلا يحار فيه إلا النبيه، ولا يتفطن إلى هذا التنبيه إلا من جمع بين التنزيه والتشبيه"[٣٨].

فلا يخطّئ ابن عربي أحدا من فرق المسلمين – من منزّهة ومشبّهة – في عقيدتهم، ولا يكفرهم مع أنهم عبدوا إلها مجعولا، أو مخلوقا في قلبه أو تصوره، لأنه لا يستطيع أن ينفك عنه أي معتقد مسلم. وما تصوره المتصور ليس هو عين الحق ولا غير الحق إن صح التعبير. والذي لم يصل إلى درجة الكمال في المعرفة هوالذي ينكر على الآخرين تصورهم في الحق، والكامل هو الذي يرى الحق في جميع هذه الاعتقادات، ولا ينبغى

---

٣٦ ابن عربي، **كتاب المعرفة**، ص٤٦.

٣٧ ابن عربي، **الفتوحات**، ٢٠٨/٢.

٣٨ ابن عربي، **الفتوحات**، ٣٩١/٤.

الاعتراض على أحد من فرق المسلمين اعتقادهم وتصورهم في إلههم، والله تعالى أجل وأعظم من أن يحصره تصور فريق دون آخر، نراه يقول: "فإياك أن تتقيد بقيد مخصوص وتكفر بما سواه ... فكن في نفسك هيولى لصور المعتقدات كلها، فإن الإله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد، فإنه تعالى ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ**﴾[٣٩] ... فقد بان لك أن الله تعالى في عينية كل وجه، وما ثم إلا الاعتقادات، فالكل مصيب"[٤٠]. وهذه الإصابة في عقيدة أهل القبلة دون الكفار كما نفهم من العديد من نصوصه. ويقول في مكان آخر: "فالعارف الكامل يعرفه في كل صورة يتجلى بها، وفي كل صورة ينزل فيها، وغير العارف لا يعرفه إلا في صورة معتقده، وينكره إذا تجلى له في غيرها، كما لم يزل يربط نفسه على اعتقاده فيه وينكر اعتقاد غيره"[٤١]. فالعارف لم يتقيد بمعتقد دون معتقد، ولا انتقد اعتقاد أحد في ربه دون أحد لوقوفه مع العين الجامعة للاعتقادات.

وعلى هذا الضوء ينبغي أن نفهم أبيات الشعر الآتية والتي كانت مستند منتقديه على مر العصور:

عقد الخلائق في الإله عقائدا أنا شهدت جميع ما اعتقدوه
ما بدا صورا لهـــم متحولا قالوا بما شهدوا وما جحدوه[٤٢]

---

[٣٩] سورة البقرة: ١١٥.
[٤٠] ابن عربي، **كتاب المعرفة**، ص٤٧.
[٤١] ابن عربي، **الفتوحات**، ١٣١/٣ و١٦٨/٤.
[٤٢] ابن عربي، **الفتوحات**، ١٣١/٣.

يعترف ابن عربي هنا بأنه شهد جميع صور العقائد ببصيرته، سواء الحقة منها والباطلة، والشهود لا يقتضي الاعتقاد. فلم يعتقد هو إلا الإله الحق منها. وقوله:

فما أخطأ معتـــقد في اعتقاده ولا جهل منتـــقد بانتـــقاده[٤٣]

يشير إلى عقائد فرق المسلمين، لا أنه يصحح كل العقائد الفاسدة.

ومستند ابن عربي فيما سبق هو حديث صحيح وارد أخرجه الإمام مسلم أنه سبحانه وتعالى يتجلى[٤٤] لعباده في صور اعتقادهم يوم القيامة. فيعرفه الخلق إذا جاء في الصورة التي كانوا يعرفونه في الحياة الدنيا، وينكرونه في غير هذه الصورة. فيُعرف ويُنكر وهو نفس الإله، فتحول الألوهية وتبدلها يوم القيامة في صور الاعتقادات والمعارف كان مصدر وحي ابن عربي في هذه الفكرة.

---

٤٣ ابن عربي، **الفتوحات**، ١٥٧/٢.

٤٤ **حديث التجلي** كما ذكره ابن عربي: "....حتى إذا لم يبق إلا من كان الله من برّ وفاجر فيأتيهم ربّ العالمين تبارك وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فيقول: ماذا تنتظرون؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربّنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنّا إليهم ولم نصاحبهم، قال فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبين ربّكم آية تعرفونها؟ فيقولون: نعم، قال: فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعم أنت ربنا ..."، أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. (**الفتوحات**، ٤٥/٣)

فلا يستطيع إنسان أن ينفك عن هذا التصور في الإله حتى المشرك لديه تصور ما عن إلهه الذي يعبده إذا كان غير مرئي، لا أعتقد أن هذه الفكرة المستنبطة من فهم لحديث صحيح عن الإله المعبود الحق تعارض ما ثبت من الدين بالضرورة، أو أنها تدعو إلى وحدة المعتقد أو الأديان، وخاصة يقول الشيخ عن الطائفة الناجية: "فأنجى الطوائف من اعتقد في الله ما أخبر الحق به عن نفسه على ألسنة رسله"[٤٥]، فاتهامه استنادا إلى نصوصه الموهمة لا يخلو عن تحامل عليه. وعلى العكس هذا خير برهان على تسامحه مع المخالفين لآرائه من فرق المسلمين، بل التمس لهم – للمخالفين – العذر وأخرج كلامهم إلى محامل صحيحة حتى يتفق مع مفاهيم الإسلام. ثم ننتقل إلى فكرة أخرى ساهمت بشكل أو آخر في اتهامه بالتسوية بين الأديان.

ثانيا: مشاهدة الحق في كل اعتقاد

ومما ساهم في اتهامه بوحدة الأديان هو نظرته إلى المشرك وغيره من الكفار على أنه ما عبد إلا الله، وأمثال قوله: "إن المؤمنين والكفار اجتمعوا في الإقرار بالربوبية"، و"أن المشرك مقرّ بتوحيد الله في عظمته"، و"هو سبحانه بعيد أن يشرك في ألوهته"، و"الذين عبدوا غير الله قربة إلى الله فما عبدوا إلا الله" وغيرها من الأقوال الموهمة لهذا المعنى[٤٦].

---

[٤٥] ابن عربي، **الفتوحات**، ٤/ ٢١٣.

[٤٦] راجع ابن عربي، **الفتوحات**، ١/ ٣١٠ و٤٠٨ و٦٤٩؛ ٢/ ٤٠٣؛ ٤/ ١٠٩ و٢٤٤؛ **كتاب الألف** له أيضا، ص٣.

لا شك أن ظواهر مثل هذه المقولات توهم معاني مخالفة لعقيدة الإسلام، ولكن بعد التحقيق والتمحيص يتضح للقارئ أنها تنطوى على دقائق أسرار العلوم الإلهية، لا يتنبه لها إلا من له قدم في العلوم العقلية والذوقية. فيرى ابن عربي أن مقام الألوهية مقام عظيم ومحترم لذاته، وأن الذين عبدوا غير الله في الأرض من الحجارة والنبات والحيوان، وفي السماء من الكواكب والملائكة وغيرها ما عبدوها لعينها، وإنما عبدوها من حيث نسبة الألوهية إليها، أي أنهم تخيلوا فيها الألوهية وقدّموا لها العبودية أو العبادة، "لأنه لو لم يعتقد الألوهية في الشريك ما عبده، أو أنهم جعلوها شفيعا لهم عند الإله الكبير، وفي كلتا الحالتين ما عبد المشرك إلا الله"[٤٧] .

فالمشركون إذن عبدوها لاعتقادهم في كل معبود أنه إله، لا لكونه حجرا أو شجرة ولا غير ذلك، فهم وإن أخطأوا في النسبة فما أخطأوا في المعبود، فالمعبود من قبل المؤمنين والمشركين هو الألوهية، فالمؤمن عبد الإله الحق، والمشرك عبد الحجر أو الشجر معتقدا أنه إلهه، والمؤمن أصاب في تقديم العبادة للإله الحق بينما أخطأ المشرك في نسبة الألوهية إلى غير الله، فهما يجتمعان في أمر ويفترقان في أمور أخر. يقول ابن عربي: "وأما تبرئ المسلم ممن استند إليه المشرك فليس تبرؤه إلا من النسبة (أي نسبة الألوهية لغير الإله الحق) ومن المنسوب إليه (الذي هو الحجر أو الشجر أو الكواكب أو غيره من الآلهة المتخذة) لا من المنسوب (الذي هو الألوهية)، فاجتمع المشرك والمسلم في المنسوب وافترقا في المنسوب إليه والنسبة[٤٨].

---

[٤٧] انظر ابن عربي، **الفتوحات**، ٤٠٨/١. وقارن ما جاء في **كتاب المسائل** له، ص١٣ و١٤.

[٤٨] ابن عربي، **الفتوحات**، ٥٨١/٢. وراجع أيضا: ٧١١/١.

ويرجع السبب في ذلك إلى أن الغيرة الإلهية اقتضت أن لا تُعبد في الأرض إلا الإلهية، فما عبد عابد إلا من له هذه الصفة، قال تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾[٤٩]، فكان من قضائه وحكمه أن لا تكون أو تقع العبادة إلا لله، وقضاء الحق لا يُردّ، إذن فقد قضى أن لايعبد إلا إياه، فكانت الأصنام والأوثان مظاهر له في زعم الكفار فأطلقوا عليها اسم الإله. أو أنهم جعلوها شفعاء لهم يوم القيامة، أو لاعتقادهم أنها تقرّبهم إلى الله كما قالوا: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾[٥٠]، وفي جميع الأحوال يكون قصد المشركين من العبادة هو الألوهية التي تخيلوها في الحجر والشجر والكواكب وغيره. ولو لم يتخيلوا هذا ما عبدوا هذه الأشياء. فالألوهية هي المعبودة دائما.

ويسمي هذا ابن عربي **توحيد مشرك**، فإنه مقر بتوحيد الله في عظمته، وذلك ضرب من التوحيد، وهو توحيد المرتبة الإلهية العظمى، فإن المشرك كما يقول: "جعل الشريك شفيعا عند الله ﴿**وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ**﴾[٥١]، ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾، فوحّدَ اللهَ هذا المشرك في عظمته، ليست للشريك عنده هذه الرتبة، إذ لوكانت له ما اتخذه شفيعا، والشفيع لا يكون حاكما، فلهم رائحة من

---

[٤٩] سورة الإسراء: ٢٣. وقضى عنده هنا بمعنى حكم لا بمعنى أمر كما يذهب إليه سائر العلماء (**الفتوحات**، ١/٤٥٣).

[٥٠] سورة الزمر: ٣. وراجع في هذا الصدد **الفتوحات**، ١/٧١١ و٢/٦٤٨ و٤/١٠٩.

[٥١] سورة يونس: ١٨.

التوحيد"[٥٢]. ولكن هذا التوحيد لا يقبل عند الله ولا ينجى صاحبه في الآخرة كما نرى عن قريب.

ومما يدل أيضا على وجود نوع من التوحيد عند الكفار هو دعاؤهم عند الشدائد والتجائهم إلى الله في حالة الضرر، قال الله تعالى عن المشركين: ﴿**بَلْ إِيّاه تَدْعُوْنَ، فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُوْنَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُوْنَ**﴾[٥٣]، وقال في آية أخرى: ﴿**ثُمّ إِذَا مَسَّكُمْ الضّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُوْنَ، ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيْقٌ مِنْكُمْ بِرَبّهِمْ يُشْرِكُوْنَ**﴾[٥٤] وقال أيضا: ﴿**وَإِذَا مَسّكُمُ الضّرّ فِي البَحْرِ ضَلّ مَنْ تَدْعُوْنَ إِلّا إِلَيْهِ**﴾[٥٥]. فهذه الآيات دالة على أن الكفار والمشركين ما دعوا في حال شدتهم إلا الله، يقول ابن عربي في ذلك: "فلو لم يكن في علمهم في حال الرخاء إن حل الشدائد بيد الله خاصة – وهذا هو التوحيد – ما أظهر الاعتقاد عند الشدائد، فلم يزل المشرك موحدا بشهادة الله في حال الرخاء لا يظهر عليه علم من أعلام التوحيد الذى هو معتقده، فإذا اضطر رجع إلى علمه بتوحيد خالقه لم يظهر عليه علم من أعلام الشرك"[٥٦]. فعلى هذا كل إنسان في الدنيا مقر بتوحيد الله –كما أنه مقر بوجوده – إما صراحة وإما ضمنا، سواء الموحّد منهم أوالمشرك.

فهل يعنى هذا أنه يسوى بين المسلمين والمشركين في الأحكام الدنيوية والأخروية ويجعل النجاة للمشركين في الآخرة كما للموحدين ؟

---

[٥٢] ابن عربي، **الفتوحات**، ٦٤٩/١، وراجع أيضا ٦٧١/١.

[٥٣] سورة الأنعام: ٤١.

[٥٤] سورة النحل: ٥٣ و٥٤.

[٥٥] سورة الإسراء: ٦٧.

[٥٦] راجع ابن عربي، **الفتوحات**، ١٤٠/٤.

والإجابة قطعا بالنفي، لقد صرح في مواضع عدة عدمَ نجاة المشركين، وعدم قبول توحيدهم، ولقد منع الشرع من قبوله، يؤاخذ المشرك بما يوجد عنده من الشرك المعتبر شرعا، فالشرع هو المرجع في كل الأمور، والمقياس الوحيد لقياس التوحيد والشرك[٥٧]. لقد صرح في **كتاب المسائل** على أن "هذا الخطأ منهم في إضافة الألوهية لغير من يستحقها يؤدي إلى شقاء الأبد"[٥٨].

أنه عند ما يتحدث عن بطلان عقيدة المشركين وفي مناقشتهم يقول: "وأما غير المؤمنين – وهم المشركون – فهم الذين نسبوا الألوهية إلى غير من يستحقها، ووضعوا اسمها على غير مسماها، وادعوا الكثرة فيها كما ادعوا الكثرة في الإنسانية، فدعواهم فيها صحيحة، وما عرفوا بطلانها في الإلهية، ولذلك تعجبوا من توحيدها، فقالوا: ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا**

---

٥٧ يضرب ابن عربي مثلا رائعا في أن الشرع هو المرجع في كل الأمور، وذلك أنه ثبت في قوله تعالى: ﴿**فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾ هذا حقيقة، فوجه الله موجود في كل جهة يتولى إليها، ومع هذا لو تولى الإنسان في صلاته إلى غير الكعبة مع علمه بجهة الكعبة لم تقبل صلاته، لأنه ما شرع له إلا استقبال هذا البيت الخاص بهذه العبادة الخاصة، فإذا تولى في غير هذه العبادة التي لا تصح إلا بتعيين هذه الجهة الخاصة فإن الله يقبل ذلك التولى كما أنه لو اعتقد أن كل جهة يتولى إليها ما فيها وجه الله لكان كافرا وجاهلا، فلا يجوز أن يتعدى بالأعمال حيث شرعنا الله (**الفتوحات**، ١١٠/٤) يضرب هذا المثل للتأكيد على أن القبول لما أتى به الشرع، لا ما أعطاه العقل، فالمشرك وإن كان موحدا إلا أن توحيده غير مقبول وغير معتبر شرعا، فلا نجاة له في الآخرة.

٥٨ ابن عربي، (١٣٦٧هـ)، **كتاب المسائل**، حيدرآباد الدكن: طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، ص١٤، وقارن في هذا الصدد ابن عربي، **الفتوحات**، ١/ ٤٠٨ و٢/ ٥٨٠ و٣/ ٣٠٢.

إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[٥٩] وما علموا أن جعل الألوهية في الكثيرين أعجب، فقيل لهم: "... إنكم شهدتم على أنفسكم أنكم ما تعبدونه إلا لتقربكم إلى الله زلفى، فأقررتم مع شرككم أن ثم إلها كبيرا تقربكم من الله، هذه الآلهة خدمتكم إياها يقربكم من الله، فهذه دعوى بغير برهان، وهو قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ**﴾[٦٠] فإذن وقد اعترفوا أنهم عبدوا الشريك ليقربهم إلى الله زلفى، فتح القائل على نفسه باب الاعتراض عليه بأن يقال له: ومن أين علمتم أن هذه الحجارة أو غيرها لها عند الله من المكانة بحيث أن جعلها معبودة لكم كما قال: ﴿**فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**﴾[٦١] . فالذين عبدوا من ينطق ويدعى الألوهية أقرب حالا من عبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنهم شيئا، وهذا قول إبراهيم لأبيه وهوالذى قال فيه تعالى ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ**﴾"[٦٢] . فاحتج على قومه على أن معبودهم لا ينطق ولا يجيب، فكيف يصلح أن يكون إلها.

إذن ليس كل موحّد ناجيا، والناجي هو من وحّد من تجب له هذه النسبة كما نبه عليه الرسول صلى الله عليه وسلم. فالمشركون الذين أضافوا الألوهية إلى من لا يستحقها يدخلون النار، ويدخل معهم بعض آلهتهم كما يقول ابن عربي: "ليتحققوا مشاهدة أن تلك الآلهة لا تغني عنهم من الله شيئا، قال تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾[٦٣] أي

---

[٥٩] سورة ص: ٥.

[٦٠] سورة المؤمنون: ١١٧.

[٦١] سورة الأنبياء: ٦٣.

[٦٢] سورة الأنعام: ٨٣. راجع النص في ابن عربي، **الفتوحات**، ٤٠٣/٢.

[٦٣] سورة الأنبياء: ٩٨.

الذي انفرد بهذا الإسم، وقال: ﴿**وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾"[٦٤]. وهي التي كانت معبودة في الدنيا. والذي يصرح بدخول المشركين وما عبدوا من آلهتهم النارَ هل يعقل أن يدعوَ إلى التسوية بينهم وبين المؤمنين الذين يدخلون الجنة ؟!

ثالثا: عموم الإيمان ومعاني الكفر والشرك

ومما ساعد على سوء الفهم والاتهام بالتسوية بين الأديان هو تفسيره للإيمان والكفر بمعناه العام أحيانا، وفهمه لمعاني الشرك، وإنكاره التعطيل المطلق. فيرى ابن عربي انعكاس صفة المؤمن في العالَم في كلّ من يؤمن سواء بالحق أو بالباطل، وهو يعنى الإيمان أو الإسلام بالمعنى اللغوي استنتاجا من قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ**﴾[٦٥] وأمثاله، "فالكفر والإيمان أمر عام ويتطرق إليهما الذم والحمد، فإن الله قد سمى مؤمنا من آمن بالحق، وسمى مؤمنا من آمن بالباطل، وسمى كافرا من يكفر بالله، وكذا سمى كافرا من يكفر بالطاغوت"[٦٦]. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٦٧] يرى ابن عربي أن النصر أوقاتا — في هذه الدنيا – يكون للمشركين على المؤمنين لقوة إيمانهم بما يعتقدون، ويقول في بيان هذا: "وقولي هذا ماكان لقوله : ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ**﴾، فسماهم مؤمنين، ولكن تحقق في إيمانهم بالباطل – أي الكفار – أنهم ما آمنوا به من كونه

---

[٦٤] سورة التحريم: ٦. راجع ابن عربي، **كتاب المسائل**، ص١٤ و١٥.

[٦٥] سورة العنكبوت: ٥٢.

[٦٦] ابن عربي، **الفتوحات**، ٣٧٦/٣، وانظر ٢٠٩/٤.

[٦٧] سورة الروم: ٤٧.

باطلا، وإنما آمنوا به من كونهم اعتقدوا فيه ما اعتقد أهل الحق في الحق، فمن هنا نسب الإيمان إليهم، وبما هو في نفس الأمر على غير ما اعتقدوه سماه الحق لنا باطلا لا من حيث ما توهموه"[٦٨]. إذن فهم يعتقدون جزما، أن ما يؤمنون به هو الحق، وسماه لنا الحق أن ما يؤمنون به هو باطل. فمن قوي إيمانه فيما يعتقد – سواء بالحق أو الباطل – يكون النصر حليفه من وجهة نظره.

وكذلك تبقى الفطرة وعهد الميثاق مع كل إنسان في أعمق أعماق الإنسان مهما طرأت ألوان الجحود في هذا الوجود، ومن ثم لم يكن بإمكان الطبيعيين وغيرهم التعطيل المطلق، فلا يوجد التعطيل المطلق في هذا العالم، وعن عدم وجود التعطيل المطلق يقول: "ومن أين تصور الخلاف — أي بين أهل العقائد – مع الاتفاق على السبب الموجب الذي استندوا إليه، فإنه ما اختلف فيه اثنان، وإنما وقع الخلاف في ما هو ذلك السبب وبماذا يسمى هذا السبب، فمن قائل: هو الطبيعة، ومن قائل: هو الدهر، ومن قائل: غير ذلك، فاتفق الكل في إثباته ووجوب وجوده. وما يتصور في العالم من أدنى من له مسكة من عقل التعطيل على الإطلاق، وإنما معتقد التعطيل إنما هو يعطل صفة ما اعتقدها المثبت"[٦٩] . فالطبيعيون يثبتون السبب الموجب لهذا الكون ووجوب وجوده، وكذا الدهريون، ولكنهم أخطأوا في نسبة هذا السبب إلى الطبيعة أو الدهر، فالتعطيل المطلق ضرب من الخيال.

---

[٦٨] ابن عربي، **الفتوحات**، ٤:/٣٢٦.

[٦٩] ابن عربي، **الفتوحات**، ١/٢٥٩ و٥٠١.

فإنكار التعطيل في هذا العالم أيضا لا يعني أية تسوية بين المؤمن السعيد والكافر الشقي بالمعنى الشرعي الذي يقع به المؤاخذة. فوجود الإله في فطرة كل إنسان، وأن أصل الشرك ناشئ إذن من – وجهة نظره – من غلبة حجاب الطبع على فطرة الإنسان من بين سائر المخلوقات[٧٠].

وكذلك نظرته إلى المشرك على أنه "قد أثبت وحدانية ذات المعبود"[٧١]، وقوله: أن "الشريك ما ينفي وجود الخالق"[٧٢] وأنه "ما عبد المشرك إلا الله"[٧٣] تُوهم عدم تفرقته بين الموحّد والمشرك، ولكن شرحه لمعنى الشرك وأبعاده يبعد عنه هذه التهمة. والمشرك في نظره "إنما هو من أضاف ما يستحقه الإله إلى غير الله، فعبده على أنه إله، فكأنه جعل شريكا في المرتبة، كاشتراك السلطانين في معنى السلطنة، وإن كان هذا لا يحكم في ملك هذا ولكن كل واحد منهما سلطان حقيقة". ويصف ابن عربي هذا المشرك بـــ"الخاسر المشروع مقته"[٧٤] مما يدل على عدم نجاة هؤلاء المشركين.

والمشرك في الحقيقة لا ينفي وجود الخالق، وإنما يتوجه على نفي الأحدية. يجعل المشرك مع الإله الحق إلها آخر شريكا له ويقدم له العبادة. وإن كان لديه رائحة التوحيد فهو شقي مبعد من رحمة الله كما يقول الشيخ: "لا تتخيل أن المشرك لا يقول بالواحد بل يقول به من مكان بعيد، ولهذا **شقي بالبعد**. والمؤمن يقول به من مكان قريب ولهذا **سعد بالقرب**،

---

٧٠ ابن عربي، **الفتوحات**، ٣/٢٥٤.

٧١ ابن عربي، **كتاب الألف**، ص٤.

٧٢ ابن عربي، **الفتوحات**، ١/٣١٠.

٧٣ ابن عربي، **الفتوحات**، ١/٤٠٨.

٧٤ ابن عربي، **الفتوحات**، ٢/٦١٨.

وإلا فهذا المشرك قد أثبت وحدانية ذات المعبود وأثبت وحدانية الشريك ثم أعطى لوحدانية الشريك سره ..."[٧٥]، فوحدانية المشرك غير مقبولة، وهو مبعد من رحمة الله ويشقى ببعده إلى الأبد.

ثم لو لم يوجد الشرك في الدنيا لكان كل من في الدنيا موحّدا، لما احتجنا إلى رسول يدعونا إلى التوحيد. لكن سبق علمه سبحانه على وجود الشرك في الأرض، يقول الشيخ عندما يتحدث عن الغرض الأساسي لإرسال الرسل من قبل الواحد الأحد أنه: "لو لم يسبق في علم الله تعالى أنه سيقع ادعاء شريك في مرتبة الألوهية في العالم السفلي لاستحال وقوع إدعائها لغير الله تعالى، ومن المعلوم أنه وقع إدعاؤها لغير الله تعالى ممن لا خلاق له من بعض الآدميين دون بعضهم، فلو لم يقع إدعاؤها لغير مستحقها في العالم السفلي، وكانوا كلهم عارفين بوحدانية الحق تعالى بكل اعتبار، لما احتاجوا في توحيدهم لله تعالى إلى داع يدعوهم إلى نفي شريك له تعالى في شيء من كمالاته، لأنه منتف عند جميعهم في نفس الأمر. ولكن لما وقع ادعاء شريك له في مرتبة الإلهية التي هي من مقتضيات ذاته تعالى دون غيره احتاج الموحّدون في تمييزهم عن المشركين إلى كلمة تتضمن نفي الإلهية عن غير مستحقيها، فلأجل ذلك أرسلت الرسل"[٧٦]. فالمشرك عدّد مرتبة الألوهية في اثنين فأكثر، فهو محق في اعتقاده وجود إله، ولكنه أخطأ في تعداده. فهو غير ناج في الآخرة لمخالفته لما جاء به الرسول من توحيد الخالق. قال النبي صلى الله عليه

---

٧٥ ابن عربي، (١٣٦١هـ)، **كتاب الأحدية**، حيدرآباد الدكن: مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، ص٤.

٧٦ ابن عربي، **كتاب المعرفة**، ص١٣٢.

وسلم: **أمرت أن أقاتل الناس حتي يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم**[٧٧].

وسبب آخر ساعد في اتهام الشيخ بعالميته في الاعتقاد هو قول الشيخ بشمول الرحمة وعدم سرمدة العذاب[٧٨]. تتلخص الفكرة في أن الكافر وقع منه الكفر في مدة وجيزة متناهية في هذه الحياة الدنيا، وليس من العدالة أن يكون عذابه غير متناهية وإلى الأبد، فيمكن أن يتوقف عذابه في فترة معينة حيث يتعود الكافر على هذا العذاب ولا يشعر به مع بقائه في النار إلى الأبد.

وفي حقيقة الأمر أنه لا ينكر عذاب جهنم للكفار والمشركين والعصاة من هذه الأمة، وإنما صرح: "بأن العذاب والآلام الحسية بالنار من حرق للجلود ولدغ للعقارب والحيات إلى غير ذلك من ألوان العذاب الحسي والمعنوي تستمر لمدة يقدر بخمسين ألف سنة من سني الدنيا[٧٩]، ونص على أن صورة العذاب باقية لا تتغير أبدا بعد انقضاء فترة العذاب، وتشمل الرحمة أهل الشقاء، بأن يجعل الله أهل النار – الذين هم أهلها وليسوا بخارجين منها – على مزاج يتنعمون به بما كانوا به يتعذبون، فأي عاقل يتمنى أن يتنعم بالنتن والصديد وحرق الجلود ويترك النعيم في الجنان بالحور الحسان، والجمال في دار الرضوان، وهي الجنة دار السعداء.

---

[٧٧] حديث صحيح متفق عليه أخرجه الشيخان في صحيحيهما.

[٧٨] ابن عربي، **الفتوحات**، ١٤٨/٢ و٢٤٤-٦٦٢ و٢٥/٣ و١٠٠-١٠١ و١٤٦/٤ و١٦٣.

[٧٩] ابن عربي، **الفتوحات**، ٣٨٣/٣.

خلاصة القول

إن من انتقد ابن عربي معتمدا على نصوصه فلهم كل العذر في ذلك لمخالفة ظاهر كلامه أحيانا لما ثبت في الشرع من الأحكام. ولكني أرى أنه فيما قال – سواء وافقناه أم خالفناه – غلبت عليه نزعة التوحيد، والغيرة أن يعبد على أرض الله غير الله، والغيرة أن تكون العبادة في الكون لغير مرتبة الإلهية. وكذا غلبت عليه نظرة الرحمة تجاه خلق الله جميعا، فهو معذور أيضا فيما نطق به بما أعطاه حاله.

ولا يظن به أنه يسوّي بين المعتقدات أو الأديان جميعا. لأنه ينقد كل فكر خارج عن شريعة الإسلام ولا يقر دينا غير دين الإسلام. ويذمّ اليهود والنصارى في عدة مواضع من كتبه ولعل منتقديه لم يقفوا على هذه النصوص. نأتي هنا ببعضها على سبيل المثال. يقول في **كتاب المعرفة**: "... وأما إذا أثنى العبد على الله تعالى بوصف يتضمّن ضد الكمال **فإنه يكفر** به سواء كان يعتقد أنه كمال، أو لا يعتقد أنه كمال. مثال ذلك قول اليهود: ﴿**نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾[٨٠] وقولهم: ﴿**عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ**﴾[٨١] وكذا قول النصارى: ﴿**الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ**﴾[٨٢] ". أما عن اليهود خاصة فيقول في معرض إشارة مريم عليها السلام إلى عيسى عليه السلام لما أتت قومها تحمله يقول: "عدلت مريم عليه السلام من أجل **أهل الإفك**

---

[٨٠] سورة المائدة: ١٨.

[٨١] سورة التوبة: ٣٠.

[٨٢] سورة التوبة: ٣٠. راجع النص في ابن عربي، **كتاب المعرفة**، ص١١١.

والإلحاد إلى الإشارة"[٨٣]. فوصفهم بهذه الصفة المذمومة مما يدل على شقائهم، ويقول عنهم أيضا عن اختلاقهم القصص ضدّ الأنبيآء: "... ما ينبغى أن يقدم (أي المُذَكّر) على تفسير كلام الله بمثل هذه الطوام، كقصة يوسف وداود وأمثالهم عليهم السلام ومحمد – صلى الله عليه وسلم – بتأويلات فاسدة وأسانيد واهية، عن قوم قالوا في الله ما قد ذكر الله عنهم[٨٤]، فإذا أورد المذكّر مثل هذا في مجلسه مقتَتْهُ الملائكة ونفروا عنه، ومقته الله، ووجد الذي في دينه نقص رخصة يلجأ إليها في معصيته ويقول إذا كانت الأنبياء قد وقعت في مثل هذا فمن أكون أنا؟ **وحاشا والله مما نسبته إليهم اليهود لعنهم الله**"[٨٥]، ويقول في كتابه **التنزلات الموصلية** عن اليهود والنصارى عند ذكره عيسى عليه السلام: "... فعرف مآله قبل فطامه، وحكم على نفسه بالاستقامة قبل استحكامه، وشهد لنفسه بقبول الوصية الإلهية بالصلاة النورية، والزكاة البرهانية، وسلّم على نفسه في الثلاثة الأحوال، ثم نزه نفسه تعالى عما قاله **أهل الضلال**، فقال: ﴿**ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ**﴾"[٨٦]، فوَصَفَ ابن عربي اليهود والنصارى بأهل الإفك والإلحاد وأهل الضلال. إذا كان يدعو إلى وحدة الأديان فهل كان يدعو إذن إلى هذا الضلال والإلحاد!.

---

٨٣ ابن عربي، **الفتوحات**، ٢٧٩/١.

٨٤ يشير بهذا إلى قول الله تعالى عنهم: ﴿**وقالت اليهود إن الله فقير ونحن أغنياء**﴾ وأمثاله.

٨٥ ابن عربي، **الفتوحات**، ٢٥٣/٢.

٨٦ سورة مريم: ٣٤. النص في ابن عربي، (١٩٨٦م)، **التنزلات الموصلية في أسرار الطهارات والصلوات والأيام الأصلية**، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، القاهرة: مكتبة عالم الفكر، ص٣١٣.

ولعل الذي اتهمه بالتهمة السابقة ما وقف على كلامه عن الجهاد، ولا على دعوته إلى قتال الكفار[٨٧]، وهو – رضي الله عنه – يؤكد أن طوائف النار أربعة، الطائفة الثانية منها: "المشركون، وهم الذين يجعلون مع الله إلها آخر، والطائفة الثالثة: المعطلة وهم الذين نفوا الإله جملة واحدة فلم يثبتوا إلها للعالم"[٨٨]. ومن يعترف بالجنة والنار ويصرّح بأن الكفّار والمشركين يدخلون النار فكيف يتهم بالدعوة إلى وحدة الأديان والتسوية بينها. فعدم فهم نصوصه في ضوء شرح ابن عربي نفسه أدى إلى التسرع في رمي هذا الرجل بتهمة الكفر والزندقة والخروج عن الملة. وقال ابن عربي فى الفرق بين السعيد والشقي: "من سجد لغير الله عن أمر الله قربة إلى الله طاعة لله فقد سعد ونجا، ومن سجد لغير الله عن غير أمر الله قربة إلى الله **فقد شقي**"[٨٩]. فالسعادة والشقاوة دائرة فى اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، فالسعيد ينجو فى الآخرة والشقي يتعذب في النار، ومن يعترف بوجود السعادة والشقاوة في الدنيا والآخرة كيف يتهم بالتسوية بين الأديان. ومن يطالع عقيدته المثبتة في بداية موسوعته **الفتوحات المكية** يعلم يقينا أنها لا تخرج عن عقيدة أهل السنة والجماعة قيد أنملة.

---

٨٧ راجع تفسير ابن عربي، (١٩٩٩م)، **عجائب العرفان في تفسير إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن**، تحقيق: محمد إبراهيم محمد صالح، القاهرة: شركة المتحدة للطباعة، ص١٩٥-١٩٧.

٨٨ ابن عربي، **الفتوحات**، ٣٠١/١.

٨٩ ابن عربي، **الفتوحات**، ٣٦٦/٣.